نماذج من آيات القرآن الكريم في الحديث عن النظام دراسة موضوعية

أ.م.د. سَعْدُون جُمُعَة حَمَّادِي

جامعة الانبار/ كلية التربية للعلوم الانسانية

Models of the verses of the Koran in the talk about the system objective study

Prepared by
Assistant Professor : Saadun Jumaa Humadi AL-Halbusy

الملخص

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فهذا بحث موجز في التفسير الموضوعي بعنوان (نماذج من آيات القرآن الكريم في الحديث عن النظـــام)، وذلك لما للنظام من شأن ومكانة سامية، فالإسلام هو دين النظام، وقرآنه يدعو للنظام، والنبي محمد ﷺ أرســـى قواعد النظام وحث أتباعه على التمسك به، وتطبيقه في كل مناحي الحياة.

وقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة، فذكرت في التمهيد تعريفاً بالنظـــام ومكانتـــه في الاسلام، وتحدثت في المبحث الاول عن نظام صفوف المسلمين في ساحات القتال من خلال تنظيم صـــفوفهم في مواجهة الاعداء، ولأداء صلاة الخوف جماعة، وفي المبحث الثاني ذكرت نظام الاستئذان في البيـــوت مـــن خارجها وفي داخلها، وفي المبحث الثالث تناولت فيه الحديث عن النظام في سنن الله الكونيـــة، وامـــا المبحـــث الرابع فتحدثت عن النظام في مملكة سليمان عليه السلام فكانت جولةً ممتعة محمدية وســـليمانية، وأرضـــية وســـماوية، خرجت فيها بنتائج قيمة، أسال الله النفع والسداد والحمد لله رب العالمين.

Abstract

Praise be to God, prayer and peace be upon the Messenger of Allah and after:

This is a brief look at the objective interpretation of the title (models of the verses of the Quran to talk about the system), so what the system down and standing Semitism, Islam is the religion of the system, the Koran calls for the system, and the Prophet Muhammad (pbuh) laid down the rules and urged his followers to stick with it, and its application in all imprisoned life.

Find an introduction and pave the four sections and a conclusion has been included, he stated in a boot definition of the system and its place in Islam, and spoke in the first section from the ranks of the Muslims in the battlefields system through regroup in the face of enemies, but the performance of fear group prayers, and in the second section authorization system reported in houses from outside and inside, and in the third section in which to talk about the system in the ways of God's cosmic dealt with, and the fourth section fun tour of Muhammadiyah and Sulaymaniyah, and ground and celestial, went out the results of value, ask God benefit and payment and Praise be to Allah.

المقدمة

الحمد لله الذي انزل كتابه نوراً للأنام، وأكرم هذه الأمة بالإسلام، دين العدالة والنظام والمحبة والوئام، من تمسك به نال السعادة والمنى والاحترام، ومن حاد عنه عاش في الضلالة والشبه والاوهام، وأُصلي على صاحب النور ماحي الاظلام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأهل بيته الكرام، ما غرد قمري، وما ناح على الأيك الحمام، وسلم تسليماً كثيراً.

فإن القرآن دستور المسلمين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو عقيدة ونظام ودولة، فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، والفرائض والسنن والآداب وسير الأنبياء والصالحين، وخلق السماوات والارضين وفيه علم الأولين والآخرين.

والقرآن كله نظام، بترتب آياته وارتباط معانيها، وبمقدماتها والخواتيم، وبتوجيهاته وإرشاداته، وبتنظيمه لشؤون الحياة، وإقامتها على السنن الثابتة والقواعد الحكيمة، فهو شرف الأمة ودستور الكون، فاستوقفني هذا النظام المحكم البديع والمنهاج الأقوم الحكيم، فأحببت أن أتأمل في بعض جوانبه، وأن أختار نماذج من تطبيقاته في ثنايا نصوص القرآن الكريم، فكان هذا البحث الموسوم بـ **(نماذج من آيات القرآن الكريم في الحديث عن النظام – دراسة موضوعية)**

واقتضت طبيعة البحث تقسيمه على مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة، أما التمهيد، فذكرت فيه تعريفاً وبياناً للنظام وقسمته على قسمين:

الأول: التعريف بالنظام.

الثاني: مكانة النظام في الاسلام.

أما المباحث، فكانت على النحو الآتي:

المبحث الأول: نظام صفوف المسلمين في ساحات القتال، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تنظيم صفوف المسلمين في مواجهة الأعداء.

المطلب الثاني: تنظيم صفوف المسلمين لأداء صلاة الخوف جماعة.

المبحث الثاني: نظام الاستئذان في البيوت، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: نظام الاستئذان من خارج البيوت.

المطلب الثاني: نظام الاستئذان داخل البيوت.

المبحث الثالث: النظام في سنن الله الكونية.

المبحث الرابع: النظام في مملكة نبي الله سليمان عليه السلام.

ثم الخاتمة ونتائج البحث.

أسال الله العظيم رب العرش العظيم الاخلاص والتوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

التمهيد- تعريف وبيان.

أولاً- التعريف بالنظام:

أ- النظام لغة: هو كل خَيْطٍ يُنْظَم به لُؤْلُؤٌ أو غيره، والجمع أَنْظِمَةٌ وأَناظِيمُ ونُظُمٌ، ونظام كل أمر: ملاكه، والنظام: الهَدْيَةُ والسِّيرَةُ، وليسَ لأَمْرِهِمْ نِظامٌ: أي ليسَ له هَدْيٌ ولا مُتَعَلَّقٌ، ولا تستقيم طريقته، والانتظام: الاتساق(١)، ونَظَمْتُ الْأَمْرَ فَانْتَظَمَ، أَيْ: أَقَمْتُهُ فَاسْتَقَامَ، وَهُوَ عَلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ، أَيْ: نَهْجٍ غَيْرِ مُخْتَلِفٍ(٢).

ب- النظام اصطلاحاً: لم تذكر كتب الاصطلاحات القديمة تعريفاً للفظة (النظام) لذا فإن التعريف اللغوي وضح المراد من النظام بانه يراد به الاستقامة والاتساق وعدم الاختلاف، والترابط بضم الاشياء بعضها الى بعض.

ثانياً- مكانة النظام في الاسلام:

من المعلوم والظاهر للعيان أن هذا الكون يسير بنظام محكم دقيق، في كل جزء من أجزائه، من الذرة الى المجرة، وإن كل شيء بحسبان، وبترتيب واتقان يدل دلالة واضحة على عظمة خالقه جل في علاه.

فعلى النظام قام هذا الكون، وعليه يقام المجتمع الاسلامي الذي أراده الله سبحانه وتعالى أن يكون منتظماً في كل نواحي حياته، في البيت وخارجه، وفي الملبس والمأكل والمشرب والمنام، وفي المعاملات والعلاقات، وفي العبادات، وحتى في ملاقاة الاعداء، فمن تمسك بهذا النظام، فقد تحلى بالجمال والكمال، وكان شامة في عيون الناس.

وبكل أسف أن يقال عن أمم لا تؤمن بالإسلام رأينا فيها اسلاماً، ولم نجد المسلمين؛ لأن تلك الأمم تمسكوا بنظام القرآن، وجعلوه منهاجاً لحياتهم، فكانت صورة حياتهم أبهى وأجمل، فياحسرة على ما ضيّع المسلمون من عزهم ومجدهم.

فلا عزة للمسلمين، ولا رفعة لهم إلا بالعودة الى نظام الاسلام والى دستور المسلمين، والى تطبيق هدي الرسول الكريم محمد ﷺ، الذي لا عوج فيه ولا خلل، وإنما كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، ومحجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك.

المبحث الأول
نظام صفوف المسلمين في ساحات القتال

إن المتأمل في اسرار القرآن الكريم والمنهج الرباني العظيم، يدرك ما تهدف اليه الآيات القرآنية، وما ترشد اليه من معان سامية ؛ لتطبيق النظام في جميع ميادين الحياة، ومنها هذه اللفتة في ساحة المعركة، في تنظيم صفوف المقاتلين ؛ لمواجهة اعدائهم، وتنظيمهم للاتصال بربهم، فهو يربي اتباعه على العزة

والكرامة، والفتوة والحذر كما يعلمهم الاحسان والرحمة والاخلاق والصفات الحميدة، وهذا ما سنتعرفه من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الاول- تنظيم صفوف المسلمين في مواجهة الاعداء.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٣).

قال اكثر العلماء بالمغازي: أن هذه الآية نزلت في غزوة أحد.

قال الواقدي: غدا رسول الله ﷺ إلى أحد، فجعل يصف أصحابه للقتال، كأنما يقوم بهم القداح، إن رأى صدرا خارجا قال: تأخر(٤).

وروي أن المشركين نزلوا منزلهم من أحُد يوم الأربعاء والخميس والجمعة، حتى راح رسول الله ﷺ إليهم يوم الجمعة بعد ما صلّى بأصحابه الجمعة، فأصبح بالشِّعب من أحد يوم السبت للنصف من شوّال(٥).

وذكر ابن اسحاق – رحمه الله –: أن رسول الله ﷺ مضى حتى نزل بالشعب من أحد، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال: لا يقاتل أحد حتى نأمره بالقتال، وقد سرحت قريش الابل والخيل في زروع كانت للمسلمين قرب أحد، فقال رجل من الأنصار: أترعى زروع بني قيلة ولما تضارب؟! وتعبأ رسول الله ﷺ للقتال في سبع مائة رجل، وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف، ومعهم مائتا فرس، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل، وأمر رسول الله ﷺ على الرماة وهم خمسون رجلاً عبد الله بن جبير، وهو يومئذ معلم بثياب بيض، وقال: إنضح عنا الخيل بالنبل، لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا، اثبت مكانك لا نؤتين من قبلك(٦).

وفي رواية البخاري: «لاَ تَبْرَحُوا إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلاَ تَبْرَحُوا وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا»(٧)، وفي رواية: «إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلاَ تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ» (٨).

هكذا يتحدث القرآن الكريم عن غزوة احد والتي كان التنظيم فيها واضحاً جلياً، من الاستعداد، وترتيب صفوف المقاتلين، والاستفادة من بعض المواقع لتأمين الحماية والرصد للمسلمين.

ومعنى ﴿ تُبَوِّئُ ﴾ أي تعين لهم مقاعد يتمكنون فيها ويثبتون، يقال: تبوأ مكان كذا، اذا حلله حلولاً متمكناً يثبت فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾(٩)(١٠).

والتعبير بكلمة (مقاعد) لوجهين:

الأول: أن النبي ﷺ أمرهم أن يثبتوا في الاماكن التي حددها لهم ولا ينتقلوا عنها، وهذه اللفظة أدل على الثبوت، فسمى تلك الأمكنة بالمقاعد تنبيهاً على أنهم مأمورون بأن يثبتوا فيها، ولا ينتقلوا عنها البتة.

الثاني: أن المقاتلين قد يقعدون في الأمكنة المعينة إلى أن يلاقيهم العدو فيقوموا عند الحاجة إلى المحاربة، فسميت تلك الأمكنة بالمقاعد لهذا الوجه(١١).

فالمقاعد هنا هي المواقع للجماعات من الجيش، وهي التعبئة حسب ظروف الموقعة، بحيث يكونون في أحسن حال، وأكمل استعداد لمواجهة الاعداء، كما فعل النبي ﷺ قبل أن تبدأ المعركة في وضع الرماة حماية لظهورهم من التفاف العدو بهم لطبيعة المكان، كما قام بتنظيم الصفوف، ووضع خطة المعركة، وأمرهم بعدم التحرك إلا بأمره ﷺ وكان هذا المنهج ديدنه ﷺ في غزواته حيث يحث على الانضباط وحسن النظام(١٢)، ففي غزوة بدر كما روى ابن هشام أنه قام ﷺ وفي يده قِدْحٌ يُعَدِّلُ به صفوف اصحابه، فمر بسواد بن غَزِيَّةَ، وهو مُسْتَنصلِ من الصف، فطعنه في بطنه بالقدح، وقال: استو يا سواد، فقال: يا رسول الله، أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل، فَأَقِدْنِي، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه، وقال: استقد، فما كان من سواد إلا أن اعتنق النبي ﷺ وقبل بطنه، فقال: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير(١٣).

وفي الآية دليل على أن الائمة هم الذين يتولون أمر العساكر ويختارون لهم المواضع للحرب، بحسب ما يليق ويناسب الزمان والمكان، وعلى الأجناد طاعتهم(١٤).

ولقد كان الالتزام بهذا النظام ودقة التخطيط نصراً وعزاً للمسلمين، ولما خالف الرماة أمر رسول الله ﷺ، وتركوا مواقعهم، وكشفوا ظهر المسلمين، أصابهم ما اصابهم؛ لأنهم أحدثوا ثغرة في صف المسلمين، الذي نظمه ورتبه وهياه رسول الله ﷺ، كما أراده رب العالمين وأحبه بقوله:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾(١٥).

قال قتادة: ألم تر إلى صاحب البنيان، كيف لا يحب أن يختلف بنيانه، فكذلك الله عز وجل يحب أن لا يختلف أمره، وإن الله صف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم، فعليكم بأمر الله، فإنه عصمة لمن أخذ به(١٦).

والصف كما ذكره ابن عاشور – رحمه الله – بأنه عدد من أشياء متجانبة منتظمة الأماكن، فيطلق على صف المصلين، وصف الملائكة، وصف الجيش في ميدان القتال وهو كناية

عن الانتظام والمقاتلة عن تدبر، وأما حركات القتال فتعرض بحسب مصالح الحرب في اجتماع وتفرق وكر وفر(١٧).

وقد اهتم النبي ﷺ بتسوية الصفوف للقتال كما يصفهم للصلاة، فالصف الاعوج والغير منتظم ليس من منهج الاسلام وتعاليمه، والمسلم الذي تعوّد نظام الصف في الصلوات الخمس لا شك أنه تعلم وجوب متابعة إمامه، فلا يتقدم ولا يتأخر عن امره، وعن النُّعْمَان بْنَ بَشِير ﷺ، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا الْقِدَاحَ، حَتَّى رَأَى أَنَّا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ يَوْمًا فَقَامَ، حَتَّى كَادَ يُكَبِّرُ فَرَأَى رَجُلًا بَادِيًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ، فَقَالَ: عِبَادَ اللهِ لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ»، (١٨) وعَنْ أَنَسٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَوُّوا صُفُوفَكُمْ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ»، (١٩) وعنه ﷺ: «أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟» فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُولَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»(٢٠).

ويجوز أن يراد تفسير تلاحم الصف على عموم الوحدة والتآلف بين المؤمنين، والسمع والطاعة للإمام، والتنفيذ الدقيق لأوامره، وقد تقتضي الخطة الحكيمة التي يضعها الامام القائد أن يقاتل بعض المقاتلين ويتربص بعضهم، ويكون قسم منهم في الكمائن، وأن يداهموا العدو من عدة جهات مختلفات الشكل متنوعات السلاح إلى غير ذلك من خطط قتالية، وليس معنى وحدة صف المقاتلين أن يواجهوا عدوهم على طريقة الصف المتراص كتفاً بكتف؛ لأن ذلك قد يمكن العدو من حصدهم بالأسلحة النارية المتطورة بسرعة خاطفة، فلا بد لكل حال ما يناسبها من ظروف السلاح والمقاتلة (٢١).

المطلب الثاني- تنظيم صفوف المسلمين لأداء صلاة الخوف جماعة.

قال تعالى:﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾(٢٢).

هذه الآية تدل على مكان الصلاة من الحياة الاسلامية، حتى لتذكر في مقام الخوف، وتبين كيفياتها في هذا المقام، كما تدل على تكامل هذا المنهج ونظامه في مواجهة الحياة في كل حالاتها، ومتابعة الفرد المسلم في كل لحظة، وفي كل حال(٢٣).

وفي المطلب السابق كان الحديث عن تنظيم المسلمين في أثناء القتال، وفي هذا المطلب فالحديث هو عن تنظيمهم في أثناء مواجهة الأعداء.

وذكر مجاهد عن أبي عياش الزُّرَقِيُّ قال: صلينا مع رسول الله ﷺ الظهر، فقال المشركون: قد كانوا على حال لو كنا أصبنا منهم غِرَّةً، قالوا: تأتي عليهم صلاة هي أحب إليهم من آبائهم، قال: وهي العصر، قال: فنزل جبريل عليه السلام بهؤلاء الآيات بين الأولى والعصر: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ وهم بعسفان، وعلى المشركين خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، وذكر صلاة الخوف(٢٤).

وقد اختلفت الروايات في هيئة صلاة الخوف، واختلف العلماء لاختلافها، وقال الامام أحمد بن حنبل، وهو إمام اهل الحديث، والمقدم في معرفة علل النقل فيه: لا أعلم أنه روي في صلاة الخوف إلا حديث ثابت، وهي كلها صحاح ثابتة، فعلى أي حديث صلى منها المصلي صلاة الخوف أجزاه إن شاء الله تعالى، وكذلك قال أبو جعفر الطبري(٢٥).

وهذه الصلاة لها أحكام مطولة في كتب الفقه، والأحاديث في صفاتها كثيرة، وسأقتصر على وجهين منها دون الخوض في الكيفيات الأخرى:

الوجه الأول: حديث صَالِحِ بْنِ خَوَّاتٍ ﷺ وقد أختار الإمام أحمد العمل به؛ لأنه أشبه بالصفة الواردة في القرآن الكريم وقد فعلها النبي ﷺ يَوْمَ ذَاتِ الرِّقَاعِ، وصفتها هي: «أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَهُ، وَطَائِفَةٌ وُجَاهَ الْعَدُوِّ، فَصَلَّى بِالَّتِي مَعَهُ رَكْعَةً، ثُمَّ ثَبَتَ قَائِمًا، وَأَتَمُّوا لأَنْفُسِهِمْ، ثمَّ انْصَرَفُوا فَصَفُّوا وُجَاهَ الْعَدُوِّ، وَجَاءَتِ الطَّائِفَةُ الأُخْرَى فَصَلَّى بِهِمِ الرَّكْعَةَ الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ صَلاَتِهِ، ثُمَّ ثَبَتَ جَالِسًا، وَأَتَمُّوا لأَنْفُسِهِمْ ثُمَّ سَلَّمَ بِهِمْ»(٢٦).

الوجه الثاني: ما روى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الْخَوْفِ، فَصَفَّنَا صَفَّيْنِ، صَفٌّ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالْعَدُوُّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، فَكَبَّرَ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَبَّرْنَا جَمِيعًا، ثُمَّ رَكَعَ، وَرَكَعْنَا جَمِيعًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، وَرَفَعْنَا جَمِيعًا، ثُمَّ انْحَدَرَ بِالسُّجُودِ، وَالصَّفُّ الَّذِي يَلِيهِ، وَقَامَ الصَّفُّ الْمُؤَخَّرُ فِي نَحْرِ الْعَدُوِّ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ السُّجُودَ، وَقَامَ الصَّفُّ الَّذِي يَلِيهِ، انْحَدَرَ الصَّفُّ الْمُؤَخَّرُ بِالسُّجُودِ، وَقَامُوا، ثُمَّ تَقَدَّمَ الصَّفُّ الْمُؤَخَّرُ، وَتَأَخَّرَ الصَّفُّ الْمُقَدَّمُ، ثُمَّ رَكَعَ النَّبِيُّ ﷺ وَرَكَعْنَا جَمِيعًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ وَرَفَعْنَا جَمِيعًا، ثُمَّ انْحَدَرَ بِالسُّجُودِ وَالصَّفُّ الَّذِي يَلِيهِ الَّذِي كَانَ مُؤَخَّرًا فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى، وَقَامَ الصَّفُّ الْمُؤَخَّرُ فِي نُحُورِ الْعَدُوِّ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ السُّجُودَ وَالصَّفُّ الَّذِي يَلِيهِ، انْحَدَرَ الصَّفُّ الْمُؤَخَّرُ بِالسُّجُودِ، فَسَجَدُوا، ثُمَّ سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ وَسَلَّمْنَا جَمِيعًا»(٢٧).

وقوله تعالى: ﴿ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ ﴾الضمير إما للمصلين، وإما لغيرهم، فإن كان للمصلين فإنهم يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر؛ وذلك لأنه أقرب إلى الاحتياط وأرهب وأمنع للعدو من الإقدام عليهم، ويجوز أن يكون أمراً للجميع بحمل السلاح لأنه أهيب للعدو، إلا لعذر من مطر أو مرض فرخص لهم وضع السلاح مع أخذ الحذر(٢٨).

والحكمة من زيادة التوصية للطائفة الأخرى بأخذ الحذر مع أخذ السلاح، وذلك حثاً لهم على مزيد الاحتياط؛ لأن العدو قلما يتنبه في أول الصلاة لكون المسلمين في الصلاة، بل يظنون كونهم قائمين صفاً واحداً لأجل المحاربة، أما في الركعة الثانية فقد ظهر للكفار كونهم في الصلاة، فههنا ينتهزون الفرصة في الهجوم عليهم، فخص الله تعالى هذا الموضع بزيادة التحذير(٢٩).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾. أي تمنى الكافرون غفلتكم عن اخذ السلاح؛ ليصلوا الى مقصودهم، وهو بيان ما لأجله أمروا بأخذ الحذر والسلاح، وفي هذه الآية أدل دليل على تعاطي الاسباب واتخاذ كل ما ينجي ذوي الألباب، ويوصل الى السلامة ويبلغ دار الكرامة(٣٠).

فنبه الله عز وجل المؤمنين الى ذلك ؛ كي لا يكونوا عند ظن المشركين ؛ ليعودهم بالأخذ بالحزم في كل الأمور، وليعلمهم الالتزام بالنظام في كل مجالات حياتهم ؛ وليريهم أن صلاح الدين والدنيا صنوان(٣١).

قال ابن كثير – رحمه الله –: «وما أحسن ما استدل به من ذهب إلى وجوب الجماعة، من هذه الآية الكريمة، حيث اغتفرت أفعال كثيرة لأجل الجماعة، فلولا أنها واجبة لما ساغ ذلك» (٣٢).

فأمر الله سبحانه وتعالى بالصلاة على تلك الصفة تحصيلا للجماعة لها، وقياماً لرابطة الألفة، حتى في أشد أوقات المحن والأزمات، وجمعا بين القيام بالصلاة والجهاد حسب الإمكان، وبالقيام بالواجبات مع التحرز من شرور الأعداء، فسبحان من جعل في كتابه الهدى والنور والرشاد والنظام، وإصلاح الأمور كلها(٣٣).

وهذا أنموذج عظيم وتنظيم دقيق لأداء الصلاة في الظروف الحرجة، فنجد القرآن العظيم يعلم المسلمين النظام وتدبير شؤونهم على احسن الوجوه وأكملها، فلا عزة ولا نصرة ولا ألفة ولا تمكين إلا بالتمسك بتعاليم هذا الدين، حتى يكون المؤمن متفوقاً في كل الميادين، ومهذباً ومؤدباً بنظام رب العالمين، وكأنه قرآن يمشي بين الخلق أجمعين.

المبحث الثاني
نظام الاستئذان في البيوت

إن القرآن الكريم يعلم المسلمين النظام، والدقة في تطبيق الآداب الاجتماعية، من خلال تنظيم علاقة الفرد بأخيه وبالمجتمع، فلم يدع جانباً من جوانب هذه العلاقة إلا رسم لها المنهج القويم حتى إنه ليعلم المسلمين نظام المشي اذا مشوا ﴿ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾[٣٤]، ونظام الجلوس اذا اجتمعوا ﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾(٣٥)، فضلاً عن آداب زخرت بها سورة الاحزاب وسورة النور وسورة الحجرات، والتي حوت الآداب السامية، والأحكام الرشيدة، والوسائل الحكيمة، التي تجنب المجتمع الرذائل والمخاطر والفتن، والفساد والفوضى واختلاط الانساب، وتغرس في نفوسهم الفضائل والأخلاق الحميدة.

فنقف في هذا المبحث أمام جزئية من هذا النظام والتشريع الإلهي العظيم ألا وهو الاستئذان في دخول البيوت، تلك المملكة العظيمة التي لها الشأن العظيم، والمكانة السامية في تشريعات الاسلام وقوانينه، وذلك من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول- نظام الاستئذان من خارج البيوت.

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴾[٣٦].

جاءت هذه الآيات الثلاث بعد حديث الإفك؛ لتقيم المسلمين على أدب خاص، ونظام يتصل بالبيوت وحرمتها، حتى لا تكون مظنّة لريبة، أو موضعا لتهمة(٣٧).

وتصدير الآية بالنداء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾؛ تشريفاً لهم، وحفزاً لهم على الطاعة، إذ مقتضى الإيمان أن ينصاعوا الى الامتثال لما يأمرهم وينتهوا لما ينهاهم، وكان ابن مسعود ﷺ يقول: اذا سمعت الله عز وجل يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فأعرها سمعك، فإنه خيرٌ يأمر به أو شرٌ ينهى عنه(٣٨).

ومعنى ﴿ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾ أي: تستأذنوا من أصحابها من الاستئناس بمعنى الاستعلام، من آنس الشيء إذا أبصره، فإن المستأذن مستعلم للحال، مستكشف أنه هل يؤذن له، أو من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش، فإن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له، فإذا أذن له استأنس، أو يكون الاشتقاق من الانس، وهو أن يتعرف هل ثم انسان(٣٩).

وفي هذا التعبير منتهى اللطف والدقة، فليس المراد من اللفظ مجرد الأذن، وانما معرفة أنس أهل البيت، بدخول الزائر عليهم، هل يراد دخوله أو لا(٤٠).

وأمر الله سبحانه وتعالى مع الاستئذان بالسلام، وإن المتأمل في الآية الكريمة يرى ظاهرها تقديم الاستئذان على السلام، إلا ان العلماء اختلفوا في أيهما يقدم، فقال بعضهم: يقدم الاستئذان، وذهب الأكثرون على أنَّ السلام مقدم؛ لأن الواو لا تستلزم الترتيب، وكما جاء في الحديث عن كَلَدَة بْنَ حَنْبَل ﷺ قال: دَخَلْتُ على رسول الله ﷺ ولَمْ أُسَلِّمْ ولَمْ أَسْتَأْذِنْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ارْجِعْ فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَأَدْخُلُ؟**»(٤١).

وفصل بعضهم هذه المسألة بأن القادم اذا رأى أحداً من اهل البيت سلّم أولاً، ثم استأذن في الدخول، وإلا قدّم الاستئذان، وهو اختيار الماوردي – رحمه الله–(٤٢).

ووضحت السنة المباركة أن الاستئذان يكون ثلاثاً، فقد روى عن أبي موسى الاشعري ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ»(٤٣)، وعن قتادة الاستئذان ثلاثة: الأولى يسمع الحي، والثاني ليتأهبوا، والثالث إن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردوا، ولذلك يجب أن يكون بين كل واحدة والأخرى وقت، وأما قرع الباب بعنف، والصياح بصاحب الدار، فذاك حرام؛ لأنه يتضمن الإيذاء والإيحاش(٤٤).

وإن مجرد الاستئذان لا يبيح الدخول على البيوت، وانما هو طلب للأذن، فان لم يأذن أهل البيت فلا دخول، وكذلك إذا لم يكن فيها احدٌ فلا يجوز اقتحامها بعد الاستئذان، سواء كان الباب مغلقاً أو مفتوحاً؛ لأن الشرع قد أغلقه بالتحريم للدخول حتى يفتحه الأذن من ربه، كما قال تعالى: ﴿**فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ**﴾(٤٥).

وعن قَتادة قال: قال رجل من المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية، فما أدركتها، أن أستأذن على بعض إخواني، فيقول لي ارجع، فأرجع وأنا مغتبط، لقوله: ﴿**وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ**﴾(٤٦).

وذكر في سبب النزول: أن امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ جاءت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فقالت: يا رسول الله، إِنِّي أَكُونُ فِي بَيْتِي عَلَى حَالٍ لَا أُحِبُّ أَنْ يَرَانِي عَلَيْهَا أَحَدٌ، فَلَا يَزَالُ يَدْخُلُ عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿**لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟**﴾ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ بعد نزولها يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَرَأَيْتَ الْخَانَاتِ وَالْمَسَاكِنَ فِي طُرُقِ الشَّامِ لَيْسَ فِيهَا سَاكِنٌ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ**﴾(٤٧).

ولما ذكر الله تعالى حكم الدور المسكونة، ذكر بعده حكم الدور غير المسكونة، بدخولها من غير استئذان؛ لأن المانع من الدخول إلا بإذن زائل عنها، فهي لا تختص بسكنى أحد كالخانات والرباطات وحوانيت البياعين، وقيل: إنها الخربات يتبرز فيها، وقيل: الحمامات ونحوها، والأولى دخول الجميع تحت الآية فيحمل على الكل، فأنها دور معدة لمصالح الناس كافة. (٤٨).

وفي قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ توعد لأهل التجسس على البيوت، وطلب الدخول على غفلة للفساد والاطلاع على العورات، والنظر الى ما لا يحل(٤٩).

المطلب الثاني- نظام الاستئذان داخل البيوت.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾(٥٠).

قال العلماء: هذه الآية خاصة، والتي قبلها عامة ؛ لأنه قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ﴾ ثم خص هنا فقال: ﴿ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ﴾ وخص في هذه الآية بعض المستأذنين، وكذلك أيضاً يتأول القول في الأولى في جميع الأوقات عموماً، وخص في هذه الآية بعض الأوقات(٥١).

وهاتان الآيتان جاءتا لتستكملا أدب المعاشرة والمخالطة في المجتمع الإسلامي، بعد أن بينت الآيات السابقة أحكام الاستئذان خارج الأسرة، فهي جميعها دستور متكامل، وعقد منتظم إن انفرطت حبة منه، انفرطت حبات العقد كلها(٥٢).

ولقد نظم الاسلام علاقات الافراد في الاسرة الواحدة تنظيماً حضارياً معجزاً عجيباً، فأمر المؤمنين أن يستأذنهم خدمهم مما ملكت ايمانهم، وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم في ثلاثة أحوال: أولها: ﴿ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع، وطرح ما ينام فيه من الثياب، ولبس ثياب اليقظة، والثاني: ﴿ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ ﴾ لأنها وقت وضع الثياب للقائلة، والثالث: ﴿ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِ ﴾ لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة، والالتحاف بثياب النوم، وقد سمى كل واحدة من هذه الأحوال عورة ؛ لأن الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها، اما فيما عدا هذه الأوقات فلا حرج عليهم أن يطوفوا دون استئذان، فهم يطوفون للخدمة، فلو جزم الأمر بالاستئذان في كل وقت لأدى الى الحرج(٥٣).

وبهذه التعاليم يجمع القرآن الكريم بين التستر والاحتشام وبين النظام والتأدب بآدابه القويمة، وبين السماحة وإزالة الحرج والمشقة(٥٤).

فالآباء والامهات مأمورون بان يعلموا ابناءهم النظام وآداب الاسلام، وإلا كانوا سبباً في انحرافهم وهمجيتهم وضلالهم، وان توجيهم في الصغر كالنقش على الحجر، وهو أسهل وأكثر تأثيراً في نفوسهم، قال أبو بكر الرازي: دلت هذه الآية على أن من لم يبلغ وقد عقل يؤمر بفعل الشرائع، وينهى عن ارتكاب القبائح، فإن الله أمرهم بالاستئذان في هذه الأوقات(٥٥).

واختلف المفسرون في هذه الآية على أقوال، فمنهم من قال: انها منسوخة، ومنهم من قال: انها ندب غير واجبة، ومنهم من خصها بالنساء دون الرجال، ومنهم من خص العمل بها في البيوت التي ليس لها إغلاق ولا ستور، والراجح هو قول أكثر اهل العلم بانها محكمة واجبة ثابتة على الرجال والنساء(٥٦).

فالمسلمون بحاجة ماسة لهذا النظام وهذه الآداب، ويكفي أهميته وضرورته أن الله سبحانه تعالى تحدث عنه بعليائه بآيات بينات تتلى الى يوم الدين؛ لتصون هذه الحرمة، وتحافظ على هذه الخصوصيات، وهذا مما غفل عنه الكثير من الناس، وكما يقول الزمخشري: «وكم من باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة»(٥٧)، ومن اراد أن يعرف شدة غياب أحكام الاسلام بين المسلمين، فلينظر موقفهم من نظام الاستئذان واذا تفاخر الغرب بحضارتهم ونظامهم وثقافتهم، فتعاليم ديننا تفوقهم ونظامهم بأضعاف مضاعفة، فالنظام هو بضاعة الاسلام التي عرضها، وأراد لأتباعه أن يجنوها ويتحلوا بها، فما بالنا نتعامى عن مجدنا الخالد، وما بالنا نستورد القوانين والدساتير وبين ايدينا قانون الله ونظامه، فحالنا كما قيل: كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ، والماء فوق ظهورها محمول.

فتعاليم الكتاب والسنة في الاستئذان باب واسع، وهناك آداب كثيرة أخذها العلماء من هذه الآيات، لا نستطيع أن نحيط بها في هذا المبحث، ولكن الذي يهمنا هو اهتمام القرآن بالنظام، فكان الاستئذان جزءاً منه.

المبحث الثالث

النظام في سنن الله الكونية

قال تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾(٥٨).

إن القرآن الكريم ليلفت انظار الناس الى آياته الكونية، ويدعوهم الى التأمل والتدبر في انتظامها ودقتها واتقانها وانضباطها ؛ ليتعرفوا عظمة الله وقدرته، وكمال علمه وحكمته، فالكون وما فيه يسير وفق نظام

محكم دقيق، يخضع لقوانين متناسقة تسعى للتوافق في استقرار الكون وادامة الحياة فيه، وصرحت الآيات بهذا الإحكام والترابط المقدر بسنن محكمة، لا خلل فيها ولا اضطراب كقوله تعالى: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾[٥٩]، وقوله﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾[٦٠] وقوله:﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾[٦١].

والمتأمل في الآيات الثلاث من سورة يس يجد أنها تضم أربعة عناصر تمثل سنناً إلهية، وهي موضوع اهتمام الخلق جميعاً، إنها الليل والنهار والشمس والقمر، وكل أثنين من هذه المعالم الأربعة مرتبط بقرين له، فالليل والقمر مرتبط أحدهما بالآخر، وكذلك النهار والشمس مرتبط كلاهما بالآخر، وهي بمجموعها تمثل سنناً إلهية، لها أهمية عظمى في الحياة البشرية، فذكرت كل واحدة منها في القرآن الكريم عشرات المرات(٦٢).

ففي قوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ يقول ابن كثير – رحمه الله –: «ومن الدلالة لهم على قدرته تعالى العظيمة خلق الليل والنهار، هذا بظلامه وهذا بضيائه، وجعلهما يتعاقبان، يجيء هذا فيذهب هذا، ويذهب هذا فيجيء هذا، كما قال:﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾[٦٣][٦٤].

وفي قوله: ﴿ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ إشارة الى حركة انسحاب النور بحركة الارض ودورانها حول محورها من الغرب الى الشرق، فينسلخ النور شيئاً فشيئاً عن الأماكن التي تطلع عليها الشمس، وذلك كما ينسلخ الجلد عن الحيوان شيئاً فشيئاً لا دفعة واحدة(٦٥)، وفيه إشارة الى أن الأصل هي الظلمة، والنهار طارئ عليها، فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل، فتظهر الظلمة(٦٦).

وقوله:﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ﴾ فيه أربعة أقوال:

الأول: الى موضع قرارها، فقد روى أبو ذر الغفاري ﷺ قال: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ ؟»، قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ تَسْتَأْذِنُ فِي السُّجُودِ، فَيُؤْذَنُ لَهَا وَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا: ارْجِعِي منْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا» ثُمَّ قَرَأَ {ذَلِكَ مُسْتَقَرٌّ لَهَا} فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِ(٦٧).

الثاني: أن مستقرها مغربها لا تجاوزه ولا تقصر عنه، قاله مجاهد.

الثالث: لوقت واحد لا تعدوه، قاله قتادة.

الرابع: أنها تجري الى أبعد منازلها في الغروب، ثم ترجع ولا تجاوزه(٦٨).

وذكر صفتي ﴿ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ لمناسبة معناهما ؛ للتعلق بنظام سير الكواكب، فالعزة تناسب تسخير هذا الكوكب العظيم الذي لا يستطيع أحد أن يغير أو يبدل أمر سيره، والعليم يناسب النظام البديع الدقيق[٦٩].

والشمس تجري وتدور حول نفسها، وكان المظنون أنها ثابتة في موضعها الذي تدور فيه حول نفسها، والارض في مواجهتها تجري وتدور حول نفسها وحول الشمس، فيحدث عن كل ذلك الليل والنهار، والفصول الاربعة(٧٠).

وقوله: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾ أي: جعلناه يسير سيراً آخر يستدل به على مضي الشهور، كما أن الشمس يعرف بها الليل والنهار، كما قال تعالى:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾(٧١)، وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ (٧٢)، فجعل للشمس ضوءاً يخصها، وللقمر نوراً يخصه، وفاوت بين سيرهما، فالشمس تطلع كل يوم وتغرب في آخره على ضوء واحد، ولكن تنتقل في مطالعها ومغاربها صيفاً وشتاءً، يطول بسبب ذلك النهار ويقصر الليل، ثم يطول الليل ويقصر النهار، وجعل سلطانها بالنهار، فهي كوكب نهاري، وأما القمر، فقدره منازل، يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلا قليل النور، ثم يزداد نورا في الليلة الثانية، ويرتفع منزلة، ثم كلما ارتفع ازداد ضياءً، وإن كان مقتبسا من الشمس، حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر، حتى يصير كالعرجون القديم(٧٣).

والعرجون: عود العذق الذي عليه الشماريخ، فإذا قَدُمَ عتق يبس وتقوس واصفر، فشُبِّه القمر في دقته وصفرته في آخر المنازل به(٧٤).

وقوله: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ ﴾ أي: لا الشمس يصلح لها إدراك القمر، فيذهب ضوؤها بضوئه، فتكون الأوقات كلها نهاراً لا ليل فيها، وقوله ﴿ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ ﴾ أي: ولا الليل بفائت النهار حتى تذهب ظلمته بضيائه، فتكون الأوقات كلها ليلاً (٧٥)، لأن لكل واحد من النيرين سلطاناً على حياله فسلطان الشمس بالنهار، وسلطان القمر بالليل(٧٦)، فهما يتعاقبان بحساب معلوم ونظام دقيق، لا يجيء أحدهما قبل وقته، فلا يدخل أحدهما في سلطان الآخر، فاذا اجتمعا وأدرك كل واحد منهما صاحبه قامت القيامة(٧٧).

وقوله: ﴿ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ يعني كل من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل والنهار يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء(٧٨)، والفلك هو الجسم المستدير، أو السطح المستدير أو الدائرة ؛ لأن أهل اللغة اتفقوا على أن فلكة المغزل سميت فلكة لاستدارتها، وفلكة الخيمة هي الخشبة المسطحة المستديرة التي توضع على رأس العمود لئلا يمزق العمود الخيمة، وهي صفحة مستديرة(٧٩).

واستعمل مع هذه العوالم ﴿ يَسْبَحُونَ ﴾، ولم يقل (يسبح) على ما يقال لما لا يعقل ؛ لأنه ذكر عنها فعل العقلاء، وإشارة الى النظام المحكم الممسك بها، والذي يقيمها على طريق مستقيم، كما يقيم العقل السليم صاحبه على طريق مستقيم(٨٠).

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية عن ابن حزم وابن المنير وابن الجوزي، وغير واحد من العلماء الإجماع على أن السموات كرة مستديرة، واستدل على ذلك بقوله:﴿ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٨١)، ونقل ابن حزم الإجماع من القرآن والسنة وأئمة المسلمين على كروية الارض(٨٢)، وهذا المعنى معروف بكل ما تحمله كلمة فلك من معنى الاستدارة، وكما نص عليه العلم الحديث، بدلالة القرآن الكريم، ومن اللطائف قول من تنبه

الى أن قوله تعالى:﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ ﴾ يُقرأ من يمينه كما يُقرأ من يساره، فالذي ينظر هذه الحركة في تكوين الكلمات يجدها تدور حول بعضها بالحركة الكروية، وهذه اللطائف كما يُقال: تُشم ولا تؤكل، فهي لطائف بعض المستبصرين نذكرها استئناساً(٨٣).

ويثبت العلم الحديث أنه لا يمكن أن تدرك الشمس القمر ولا يمكن أن يتلاقيا ؛ لأن كلا منهما يجرى في مدار مواز للآخر؛ فيستحيل أن يتقابلا ؛ لان الخطين المتوازيين لا يتلاقيان أبدا، كما يستحيل أن يسبق الليل النهار؛ لان ذلك يتطلب من الارض أن تدور عكس اتجاهها الطبيعي الذى هو من الغرب إلى الشرق، وهو أمر مخالف لما قدره الله سبحانه وتعالى بقوله:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾(٨٤)(٨٥).

ولولا هذا النظام الدقيق؛ لانفلتت هذه الكواكب السابحة في أفلاكها ؛ وصدم بعضها بعضاً؛ ولهلكت العوالم بأسرها، فهذا النظام آية على الرحمة الإلهية، كما أنه آية على التوحيد. (٨٦).

وهذه الآيات بمضمونها واسلوبها تلفت نظر المتأمل بهذا الكون، بما يشاهده من مظاهر قدرة الله وابداعه وعظمته، من تسييره للكون بصورة منتظمة محكمة بلغت النهاية في التنظيم والابداع، فالذي يشاهد هذا الكون العظيم يدرك عظمة خالقه ومبدعه الذي أحسن وأتقن كل شيء خلقه والذي لا تدركه الأبصار، ولا تحيط به العقول.

المبحث الرابع
النظام في مملكة نبى الله سليمان عليه السلام

إن سليمان عليه السلام نبي من أنبياء الله، آتاه الله الملك والحكمة فكان حاكماً ونبياً، وقد دعا ربه أن يؤتيه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فحقق الله تعالى له ذلك، فسخر له الريح تجري بأمره وتدبيره حيث أصاب، وسخر له الشياطين يعملون له ما يريد، وألان له الحديد، وسخر له الجنّ والانس والطير وسائر الحيوانات، ومنّ عليه فعلّمه لغاتهم.

ولقد أقام نبي الله سليمان عليه السلام دولته على الايمان والعدل والعلم والنظام، وقد تحدث القرآن الكريم عن قوة هذه الدولة المتمثلة بجيشها العظيم القوي المتكون من الجنّ والانس والطير فقال تعالى:﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾(٨٧).

اختلف أهل التأويل في معنى ﴿ يُوزَعُونَ ﴾، فقال بعضهم: يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا، وقيل: بل معناه: يتقدمون، ورجح الامام الطبري قول من قال: يرد أولهم على آخرهم(٨٨).

قال ابن قتيبة: «وأصل الوَزْع: الكفُّ والمنعُ، يقال: وزَعتُ الرجل؛ إذا كففته، ووازِعُ الجيش: هو الذي يكفُّهم، ويردُّ من شذَّ منهم»(٨٩).

فقوله: ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾أي: يُجْمعون في مكان جامعٍ، ويُرَتَّبُونَ صفوفاً ويُسَوَّوْن بانتظام؛ للقيام بما يكلفون من أعمال، ومعلوم أنّ الجنود حينما يُجْمعون صفوفاً منتظمة يسْهُل توجيهُ الأوامر والنواهي لهم، من قِبَلِ قائدهم، وقد جاء تقديم المسند إليه في هذه الجملة؛ لتأكيد الخبر، باعتباره أمراً غريباً؛ إذْ من المستغرب أن يجتمع جَيْشٌ واحدٌ في مكان جامعٍ ويُنَظَّمَ صفوفاً مرتبة، وأن يكون جُنُودُ هذا الجيش من الجنّ والإِنْسِ والطير(٩٠).

واختلف الناس في مقدار جند سليمان عليه السلام ومعسكره اختلافاً شديداً، غير أن الصحيح أنّ ملكه كان عظيماً ملأ الارض، وانقادت له المعمورة(٩١).

قال القرطبي – رحمه الله–: «في الآية دليل على اتخاذ الإمام والحكام وزعة يكفون الناس ويمنعونهم من تطاول بعضهم على بعض، إذ لا يمكن الحكام ذلك بأنفسهم، وقال ابن عون: سمعت الحسن يقول وهو في مجلس قضائه، لما رأى ما يصنع الناس قال: والله ما يصلح هؤلاء الناس إلا وزعة، وقال الحسن أيضا: لا بد للناس من وازع، أي من سلطان يكفهم، وذكر ابن القاسم قال: حدثنا مالك أن عثمان بن عفان كان يقول: ما يزع الإمام أكثر مما يزع القرآن، أي من الناس». (٩٢).

وفي الفاظ الآية (الحشر) و(الجنود) و (يوزعون) تقرير بمبدأ النظام، وتعبير عن القوة المتمثلة بكثافة الجنود، وتنوع أجناسهم، وتنظيم صفوفهم مع كثرتهم، فجيش المملكة السليمانية جمع الأصناف المختلفة من الجنّ والانس والطير وبهذا يكون له ملك ما على أرض مملكته وما في جوها، وقد صور القرآن الكريم في ثمان كلمات هذا العرض العظيم، الذي جمع هذه العوالم المؤتلفة والمختلفة في موقف واحد، وجيء بها من كل صوب فى حركة هادفة منتظمة، أشبه بحركات الأفلاك في مداراتها، يمسكها نظام، وتظلها سكينة وجلال، فهذه الكلمات الثمان صورت استدعاء الحشود الحاشدة من الجن والانس والطير، وقد أمسكتها يد القوة القادرة بكلمة واحدة ﴿ يُوزَعُونَ ﴾ التي قامت على هذه الأمم مقام الحرس والقادة، في أحدث ما عرفت الجيوش من حراسة وضبط وقيادة(٩٣).

١. إنه جيش منظم متماسك منضبط، حتى ثبت مدحهم على لسان النمل في القرآن الكريم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾(٩٤) فلو أنهم شعروا لم يفعلوا، فهذا

تنويه بشرف العدل والنظام، وأن وليّ الأمر اذا عدل سرى عدله على سائر الأشياء، وظهرت آثاره فيها(٩٥).

٢. وتفيدنا الآية لتوضيح الصورة التامة لنظام الجندية في المملكة السليمانية، فقد كان للجنود هيئة تعرفهم وتضبطهم وتجمعهم عند الحاجة، وكان لهم ضباط يتولون تنظيمهم، وكان النظام محكماً لضبط تلك الكثرة، ومنعها من الاضطراب والاختلال والفوضى، وفي ذلك تعليمٌ وتربيةٌ على الجندية المضبوطة المنظمة، ولا شك أن الخلفاء الأولين قد عملوا على ذلك في تنظيم جيوشهم، وأن مثل هذه الآية كان له الأثر البليغ السريع في نفوس العرب لما أسلموا، فسرعان ما تحولوا إلى جنود منظمة، مما لم يكن معروفاً في الجاهلية، وبقيت الآية على الدَّهر مذكرة لنا بأن النظام أساس كل مجتمع واجتماع، وأن القوة والكثرة وحدهما لا يغنيان بدون نظام، وأن النظام لا بد له من رجال أكفاء يقومون به، ويحملون الجموع عليه، أولئك هم الوازعون(٩٦).

٣. ولينظر الى الاهتمام بمسألة النظام حتى في صياغة الفاظ الآية وترتيبها، فنلاحظ الترتيب في ذكر الجنود فقدم الجنّ على الانس، والانس على الطير، وذلك لأن السياق في معرض الحديث عن القوة المتمثلة بالسلطان في تسخيرها، والقوة التي يتمتع بها هذا الجيش فراعى الأقوى في ذلك فذكرهم على هذا الترتيب(٩٧).

٤. وإنّ هذه القوة وهذا الانضباط، والدقة والنظام في هذه المملكة المترامية الاطراف المتنوعة الاجناس؛ لتدل على حسن وكمال سياسة الحاكم اليقظ، المتنبه لأحوال رعيته، فهو يعرف شئونها الصغيرة والكبيرة، ويعرف الحاضر من أفرادها والغائب، حتى ولو كان الغائب طيرا صغيرا، من بين آلاف الخلائق الذين هم تحت قيادته، فهو يأخذ من يخالف منهم بالعقاب، وهذا ما صوره القرآن بأبدع تصوير فقال: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾(٩٨). (٩٩)

٥. فمسألة مخالفة النظام، والتغيب بلا أذن مسألة خطيرة وزوال حجر صغير من السد المقام لصد السيل يفيض إلى خراب السد بتمامه، فإخلال أي أحد بمركزه ولو كان في أصغر المراكز مؤد إلى الضرر العام، وثبات كل واحد في مركزه، وقيامه بحراسته هو مظهر النظام والتضامن، وهما أساس القوة(١٠٠).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الذي أعانني على اتمام هذا البحث الموجز الذي تعرفت فيه إحاطة القرآن الكريم بكل جانب من جوانب الحياة، فهو ينظم حركة الحياة والموجودات، وعلاقة الانسان بربه وبمجتمعه على أتم وجه، وأكمل نظام، وقد توصلت فيه الى النتائج الآتية:

٦. إن قانون النظام لا بد من رعايته، والاهتمام به، ولا بد للأمة أن تكون منظمة حتى في أداء الصلاة ومواجهة الأعداء، ويوم تستهين الأمة بهذا القانون، وتخرج عليه، وتتجاهل مقدماته فإنَّ النتائج هي

٧. بينت الدراسة اهتمام النبي ﷺ بتسوية صفوف المصلين المقاتلين، وأن الصف الأعوج الغير منتظم ليس من منهج الاسلام وتعاليمه، وأن تلاحم الصفوف علامة على التآلف والوحدة بين المؤمنين.

٨. أوضحت الدراسة اهتمام الاسلام بالبيوت وضرورة الالتزام بنظام الاستئذان من خارج البيوت وداخلها، حماية لها من الرذيلة والفاحشة، التي تسبب خراب البيوت وأهلها.

٩. حثت الدراسة الآباء والأمهات على أخذ دورهم في توجيه وتعليم أبنائهم النظام وآدب الاسلام، وإلا كانوا

١٠. إن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء في هذا الوجود وقدره تقديراً دقيقاً منظماً، وأقامه على سنن ثابتة وقواعد حكيمة، وأنه سبحانه لم يخلق هذا عبثاً بغير حكمة، بل جعل له ضوابط، وقوانين يسير على

١١. بينت الدراسة أن السماوات وما فيها من أجرام محفوظة بكيانها، متماسكة لا خلل فيها، وفق نظام بديع لا يتخلف ولا يتبدل، ولولا هذا النظام لانفلتت هذه الاجرام، وصدم بعضها بعضاً، ولهلكت العوالم بذلك، فهذا النظام آية على الرحمة الإلهية كما أنه آية على الوحدانية.

١٢. إن الهيئة الحاكمة، والأفراد المنظمون، والقادة المسيرون من ضروريات المجتمع الانساني، ومقررات الشرع الاسلامي وأن الأمم لا تصلح بدون حاكم يحكمها ويرعى شؤونها، وينظم مصالحها، ويعطي كل

١٣. أشارت الآيات القرآنية لنظام الجندية في مملكة سليمان عليه السلام، فكان نظاماً محكماً ودقيقاً بعيداً عن الاضطراب والاختلال والفوضى، رغم كثرة الجند وتنوع أجناسهم، وصعوبة تسخيرهم.

١٤. بينت الدراسة أن النظام أساس كل مجتمع واجتماع، وأن القوة والكثرة وحدهما لا يغنيان بدون نظام، وأن النظام لا بد له من رجال أكفاء يقومون به ويحملون الجموع عليه، أولئك هم الوازعون.

هوامش البحث

(١) ينظر: العين للفراهيدي: (١٦٦/٨)، والمحكم والمحيط الاعظم لابن سيده: (٣٢/١٠).

(٢) المصباح المنير للفيومي: (٦١٢/٢).

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٢١).

(٤) المغازي للواقدي: (٣١٩/١).

[٥] ينظر: جامع البيان للطبري: (١٦٢/٧).

[٦] ينظر: سيرة ابن اسحاق: (ص: ٣٢٥-٣٢٦).

[٧] أخرجه البخاري، كتاب المغازي – باب غَزْوَةِ أُحُدٍ: (٥/ ١٢٠)، برقم (٤٠٤٣).

[٨] أخرجه البخاري، كتاب الجهاد – باب مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّنَازُعِ وَالاِخْتِلاَفِ فِى الْحَرْبِ وَعُقُوبَةِ مَنْ عَصَى إِمَامَهُ: (٤/ ٧٩)، برقم (٣٠٣٩).

[٩] سورة الزمر: من الآية (٧٤).

[١٠] ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية: (١/ ٥٢٧).

[١١] ينظر: التفسير الكبير للرازي: (٣٤٦/٨).

[١٢] ينظر: أضواء البيان للشنقيطي: (١٠٧/٨).

[١٣] ينظر: السيرة النبوية لابن هشام: (١/ ٦٢٦).

[١٤] ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي: (٤٦٧/٢).

[١٥] سورة الصف: الآية (٤).

[١٦] تفسير القرن العظيم لابن كثير: (١٠٨/٨).

[١٧] ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: (٢٨/ ١٧٦).

[١٨] أخرجه مسلم، كتاب الصلاة- بَابُ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ، وَإِقَامَتِهَا، وَفَضْلِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ مِنْهَا، وَالَازْدِحَامِ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ، وَالْمُسَابَقَةِ إِلَيْهَا، وَتَقْدِيمِ أُولِي الْفَضْلِ، وَتَقْرِيبِهِمْ مِنَ الْإِمَامِ: (١/ ٣٢٤)، برقم (٤٣٦).

[١٩] أخرجه البخاري، كتاب الأذان- باب إِقَامَةِ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلاَةِ: (١٨٤/١)، برقم (٧٢٣).

[٢٠] أخرجه مسلم، كتاب الصلاة – بَابُ الْأَمْرِ بِالسُّكُونِ فِي الصَّلَاةِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْإِشَارَةِ بِالْيَدِ، وَرَفْعِهَا عِنْدَ السَّلَامِ، وَإِتْمَامِ الصُّفُوفِ الْأُولِ وَالتَّرَاصِّ فِيهَا وَالْأَمْرِ بِالِاجْتِمَاعِ: (٣٢٢/١)، برقم (٤٣٠).

[٢١] ينظر: الحضارة الإسلامية لحبنكة الميداني: (ص: ٤٢٢).

[٢٢] سورة النساء: الآية (١٠٢).

[٢٣] ينظر: في ظلال القران لسيد قطب: (٥٦٥/١).

[٢٤] أسباب النزول للواحدي: (ص: ١٨٠)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٤٠١/٢)، وقال ابن كثير: هذا اسناد صحيح وله شواهد كثيرة.

[٢٥] ينظر: جامع البيان للطبري: (١٦١/٩)، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد لابن عبد البر: (٢٦٩/١٥).

[٢٦] أخرجه البخاري، كتاب المغازي- باب غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ: (٥/ ١٤٥)، برقم (٤١٢٩).

[٢٧] أخرجه مسلم، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا- بَابُ صَلَاةِ الْخَوْفِ: (١/ ٥٧٤)، برقم (٨٤٠).

[٢٨] ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن: (١/ ٤٢٠).

[٢٩] ينظر: التفسير الكبير للرازي: (١١/ ٢٠٦).

[٣٠] ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٥/ ٣٧٢).

[٣١] ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: (٥/ ١٨٧).

[٣٢] تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٢/٤٠٠).

[٣٣] ينظر: تيسير اللطيف المنان لعبد الرحمن السَّعْدي: (١/٧٥).

[٣٤] سورة الفرقان: من الآية (٦٣).

[٣٥] سورة المجادلة: من الآية (١١).

[٣٦] سورة النور: الآية (٢٧-٢٩).

[٣٧] ينظر: التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب: (٩/١٢٦٠).

[٣٨] ينظر: نظم الدرر للبقاعي: (٣/٣٤٠)، والتفسير الوسيط لسيد طنطاوي: (٢/٦٣٠).

[٣٩] ينظر: انوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: (٤/١٠٣).

[٤٠] ينظر: روح المعاني للألوسي: (٩/٣٢٩)..

[٤١] ينظر: معالم التنزيل للبغوي: (٣/٣٩٨)، والحديث أخرجه الترمذي، أَبْوَابُ الِاسْتِئْذَانِ وَالآدَابِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ - بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّسْلِيمِ قَبْلَ الِاسْتِئْذَانِ: (٤/٣٦٢)، برقم (٢٧١٠)، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ جُرَيْجٍ وَرَوَاهُ أَبُو عَاصِمٍ.

[٤٢] ينظر: النكت والعيون للماوردي: (٤/٨٧).

[٤٣] أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان- باب التَّسْلِيمِ وَالِاسْتِئْذَانِ ثَلَاثًا: (٨/٦٧)، برقم (٦٢٤٥)، ومسلم، كتاب الآداب- بَابُ الِاسْتِئْذَانِ: (٣/١٦٩٤)، برقم (٢١٥٣).

[٤٤] ينظر: التفسير الكبير للرازي: (٢٣/٣٥٧).

[٤٥] ينظر: احكام القرآن لابن العربي: (٣/٣٧٤).

[٤٦] جامع البيان للطبري: (١٩/ ١٥٠).

[٤٧] ينظر: جامع البيان للطبري: (١٩/١٤٨)، واسباب النزول للواحدي: (ص٢١٩)، واسناده ضعيف، لضعف أشعث بن سوار، ينظر: تقريب التهذيب لابن حجر: (١/١١٣).

[٤٨] ينظر: التفسير الكبير للرازي: (٢٣/٣٥٩-٣٦٠)، وارشاد العقل السليم لابي السعود: (٦/١٦٩).

[٤٩] ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية: (٤/١٧٦).

[٥٠] سورة النور: الآية (٥٨-٥٩).

[٥١] تفسير أبي حاتم: (٧٤١/١٣).

[٥٢] ينظر: التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب: (١٣١٨/٩).

[٥٣] ينظر: الكشاف للزمخشري: (٢٥٣/٣).

[٥٤] ينظر: التفسير الوسيط لسيد طنطاوي: (١٥٢/١٠).

[٥٥] ينظر: التفسير الكبير للرازي: (٤١٧/٢٤).

[٥٦] ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس: (ص:٥٩١-٥٩٣)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٣٠٣/١٢).

[٥٧] الكشاف للزمخشري: (٢٣٢/٣).

[٥٨] سورة يس: الآية (٣٧-٤٠).

[٥٩] سورة النمل: من الآية (٨٨).

[٦٠] سورة الفرقان: من الآية (٢).

[٦١] سورة تبارك: من الآية (٣).

[٦٢] ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة: (ص:٨٣٥).

[٦٣] سورة الأعراف: من الآية (٥٤).

[٦٤] تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٥٧٥/٦-٥٧٦).

[٦٥] ينظر: التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب: (٩٣٢/١٢).

[٦٦] ينظر: معالم التنزيل للبغوي: (١٣/٤).

[٦٧] أخرجه البخاري، كتاب التوحيد- باب (وكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ): (٩/ ١٥٣)، برقم (٧٤٢٤)، ومسلم، كتاب الايمان- بَابُ بَيَانِ الزَّمَنِ الَّذِي لَا يُقْبَلُ فِيهِ الْإِيمَانُ: (١٣٩/١)، برقم (١٥٩).

[٦٨] ينظر: جامع البيان للطبري: (٥١٧/٢٠)، وزاد المسير لابن الجوزي: (٥٢٤/٣).

[٦٩] ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: (٢١/٢٣).

[٧٠] ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب: (٢٩٦٨/٥).

[٧١] سورة البقرة: من الآية (١٨٩).

[٧٢] سورة يونس: من الآية (٥).

[٧٣] ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٥٧٧/٦-٥٧٨).

[٧٤] معالم التنزيل للبغوي: (١٨/٧).

[٧٥] ينظر: جامع البيان للطبري: (٥١٩/٢٠).

[٧٦] مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي: (١٠/٤).

[٧٧] ينظر: معالم التنزيل للبغوي: (١٥/٤).

[٧٨] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٢٨٦/١١)..

[٧٩] التفسير الكبير للرازي: (٢٧٩/٢٦).

[٨٠] ينظر: التفسير القرآني للقرآن: (٩٣٥/١٢).

[٨١] البداية والنهاية لابن كثير: (٣١/١).

[٨٢] الفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم: (٧٨/٢).

[٨٣] ينظر: الاعجاز اللغوي في القرآن الكريم: (ص:٧٦).

[٨٤] سورة القمر: الآية (٤٥).

[٨٥] ينظر: القرآن واعجازه العلمي: (ص:٧٨).

[٨٦] تفسير المنار لمحمد رشيد رضا: (٤٧/٢-٤٨).

[٨٧] سورة النمل: الآية (١٧).

[٨٨] ينظر: جامع البيان للطبري: (٤٣٩/١٩).

[٨٩] ينظر: جامع البيان للطبري: (٤٣٩/١٩).

[٩٠] ينظر: البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حنبكة: (٣٧١/١).

[٩١] ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية: (٣٠٢/٤).

[٩٢] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (١٦٨/١٣).

[٩٣] ينظر: التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب: (٢٢٩/١٠).

[٩٤] سورة النمل: من الآية (١٨).

[٩٥] ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: (٢٤٣/١٩).

[٩٦] ينظر: آثار ابن باديس: (٢٦/٢).

[٩٧] ينظر: ارشاد العقل السليم لأبي السعود: (٢٧٧/٦).

[٩٨] سورة النمل: الآية (٢٠-٢١).

[٩٩] ينظر: التفسير الوسيط لسيد طنطاوي: (٣٣٢/١٠).

[١٠٠] ينظر: آثار ابن باديس: (٣٧/٢).